﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾ [فصلت: 49]

❁ مناسبة الآية لما قبلها:

طَبْعُ الإنسانِ بعامَّة والكفّار بخاصَّة متبدِّلُ الأحوالِ متغيِّر المنهج إلّا مَن عصم الله

بعد أن بيَّنت الآيةُ السّابقةُ يأسَ الكفّار مِن النَّجاة من عذاب الآخرة؛ بسبب عجز الآلهة الَّتي كانوا يعبدونها من دون الله عن إنقاذهم؛ ناسب أن توضِّحَ هذه الآيةُ "أنَّ طَبْعَ الإنسانِ بعامَّة والكفّار بخاصَّة في جَميعِ الأوقاتِ مُتَبَدِّلُ الأحوالِ مُتَغَيِّرُ المَنهَجِ، فإن أحَسَّ بِخَيرٍ وقُدرَةٍ؛ انتَفَخَ، وتَعَظَّمَ، وإن أحَسَّ بِبَلاءٍ ومِحنَةٍ؛ ذَبُلَ ويأسَ"[1]، ويمكن أن يُقال: "لمّا دلَّ اتِّباعُهم للظَّنِّ - حتّى في ذلك اليوم الَّذي تنكشِفُ فيه الأمور، وتظهر عظائم المقدور - على أنَّهم في غاية العراقة في الجهل والرُّسوخ في العجز؛ أتبع ذلك الدَّليلَ على أنَّ ذلك طبعُ هذا النّوع، فلا يزال متبدِّل الأحوال متغيِّر المناهج، إن أحسَّ بخير؛ انتفخ عِظَمًا، وتطاول كِبرًا، وإن مُسَّ ببلاءٍ؛ تضاءلَ ذُلًّا وامتلأ ضعفًا وعجزًا؛ لأنَّ حال هذا النّوع بعيدٌ مِنَ العِلم، عريقٌ الصِّفات في الجهل والشَّرِّ إلّا مَن عصمَهُ الله"[2].

❁ شرح المفردات:

1) ﴿يَسْـَٔمُ﴾: السَّآمَةُ: الملالةُ ممّا يكثر لبثُهُ، فعلًا كان أو انفعالًا، قال تعالى: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: 38]، وقال أيضًا: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾[3]، "وحقيقتُهُ عدمُ الصَّبر على استمرار أمر"[4].

2) ﴿مَّسَّهُ﴾: (مسس) أصلٌ صَحيحٌ يَدُلُّ على جَسِّ الشَّيءِ بِاليَدِ،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 572.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 216.
(3) الراغب، مفردات القرآن: (سأم).
(4) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (سأم).

يقال: مَسِسْتُهُ أمَسُّهُ، ومَسَسْتُ أمُسُّ، والمَمْسوسُ: الَّذي بِهِ مَسٌّ، كَأنَّ الجِنَّ مَسَّتْهُ، والمَمْسوسُ مِنَ الماءِ: ما نالَتْهُ الأيدي[1]، ومن معانيه: الإصابةُ، قال تعالى: ﴿مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف: 95]، أي: أصابتهم الشِّدَّة والرَّخاء، فجعل المسَّ هنا موضعَ الإصابةِ؛ ليدلَّ على قصر مدَّة ما أصابهم مِن ذلك، وتعرف به أنَّ مدَّة المكروهِ والمحبوب في الدُّنيا قصيرةٌ، وقال أيضًا: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ﴾ [الحجر: 48][2].

3) ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾: (يأس) كَلِمَتانِ: إحداهُما اليَأسُ، وهو: قَطْعُ الرَّجاءِ والطَّمع، يُقالُ: يَئِسَ يَيْأسُ ويَيْئَسُ، على يَفْعَلُ ويَفْعِلُ[3]، ويقال: يَئِسَ واستَيأسَ، مثل: عجب، واستعجب، وسخر، واستسخر، قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف: 80]، وقال: ﴿قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ﴾ [الممتحنة: 13]، وقال أيضًا: ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝٩﴾ [هود: 9][4].

4) ﴿قَنُوطٌ﴾: (قنط) كَلِمَةٌ صَحيحَةٌ تَدُلُّ على: اليَأْسِ مِنَ الشَّيْءِ أو مِنَ الخَيرِ، يُقالُ: قَنَطَ يَقْنِطُ قُنوطًا، وقَنِطَ يَقْنَطُ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَـٰنِطِينَ ۝٥٥﴾ [الحجر: 55]، وقال: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر: 56]، وقال أيضًا: ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: 53][5].

❁ المعنى الإجماليُّ:

توضِّحُ الآيةُ الكريمةُ أنَّ "الإنسان في حال الإقبال، ومجيء المُرادات لا ينتهي قطُّ إلى درجة إلّا ويطلب الزّيادة عليها، ويطمع بالفوز بها، وفي حال الإدبار والحرمان يصير آيسًا قانطًا، فالانتقال

الإنسانُ في حالِ الإقبالِ يطلبُ الزّيادة، وفي حالِ الحرمانِ يصيرُ آيسًا قانطًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسَ).
(2) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 435.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مسَ).
(4) الراغب، مفردات القرآن: (يأس).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قنط)، والراغب، مفردات القرآن: قنط.

من ذلك الرَّجاء الَّذي لا آخر له إلى هذا اليأسِ الكلّي يدلُّ على كونهِ متبدِّلَ الصِّفة مُتَغَيِّرَ الحال"[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغةُ الفصل في الآيةِ:

جاءت جملة: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ مفصولةً عمّا قبلها، لإحدى صور كمال الانقطاع، وهي الصّورة الَّتي لا يوجد فيها علاقةٌ بين المسند والمسند إليه في الجملتَين، حيث تتحدَّث الجملة الثّانية عن سمةٍ متأصِّلةٍ في الإنسان، وعادةٍ مِن عاداته، بينما تتحدَّث الجملةُ الأولى عن شعور الكافرين وتيقُّنهم من عدم وجود مكان يهربون إليه من عذاب جهنَّم، ما يعني أنَّ جملة: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ "اعتِراضٌ بَينَ أجزاءِ الوعيدِ، والمَعنَى: وعَلِموا ما لَهُم مِن مَحيصٍ، وقَد كانوا إذا أصابَتهُم نَعماءُ؛ كَذَّبوا بِقيامِ السّاعَةِ، فجُملَةُ: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿قَنُوطٞ﴾ تَمْهيدٌ لِجُمْلَةِ: ﴿وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا﴾"[2]، ويمكن أن يكونَ الفصلُ لشبه كمال الاتِّصال الَّذي تُجيب فيه الجملة الثانية عن سؤالٍ خاصٍّ أثارته الجملة الأولى في نفس المتلقّي، تقديرُهُ: هل اعتقادُ المشركين أنَّ ما لهم من محيصٍ يوم القيامة راجعٌ إلى عادتهم وطبيعتهم عندما يمسُّهم الشَّرُّ؟ فتأتي الجملة الثّانية؛ لتُجيب بأنَّ ذلك من طبيعة الإنسان بصفة عامَّة، إلّا مَن رحم الله تعالى.

اليأسُ والقنوطُ في الشَّرِّ سمةٌ متأصِّلةٌ في الإنسان، وعادةٌ متجذِّرةٌ فيه

سرُّ النَّفي بـ ﴿لَّا﴾:

استعمل النَّظمُ الكريمُ أداة النَّفي: ﴿لَّا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ﴾؛ ليشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولو قال: (لم يسأم)؛ لاقتصر على الماضي فقط، والمرادُ: بيان أنَّ هذا حالُ الإنسانِ في كلِّ أوقاته.

عدمُ الملل مِن دعاء الخيرِ حالُ الإنسان في كلِّ أوقاته

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 27/ 572.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 9.

نكتةُ الفعلِ: ﴿يَسْـَٔمُ﴾ مضارعًا:

الإنسانُ في العادة يحبُّ الإلحاحَ على الله في تحقيق ما يراه خيرًا يعود عليه

أوثِرَ التَّعبيرُ عن الفعل المنفي: ﴿يَسْـَٔمُ﴾ بصيغة المضارع؛ لِما يفيده من الدَّلالة على نفي السَّآمة والملل من دُعاء الخير نفيًا متجدِّدًا على مرِّ الزَّمان، فطبيعةُ الإنسان وعادتُه أنَّه يحبُّ الإلحاحَ على الله تعالى في تحقيق ما يرى فيه مصلحةً له، أو خيرًا يعود عليه، سواءٌ أكان هذا الخيرُ بطريقةٍ مباشرةٍ أم غير مباشرة.

بلاغةُ الاستعارةِ في نفي (السأم):

حبُّ الإنسان لطلب الخير والاستزادةِ منه لا يُمَلُّ ولا ينقطعُ

في قوله: ﴿لَّا يَسْـَٔمُ﴾ استعارةٌ؛ لأنَّ مَعناهُ: لا يَكْتَفي، "فَأطلَقَ على الاكتفاءِ والاقتناعِ السَّآمَةَ، وهيَ: المَلَلُ، على وجْهِ الاستعارَةِ، بِتَشْبيهِ استرْسالِ الإنسانِ في طَلَبِ الخَيرِ على الدَّوامِ، بِالعملِ الدّائِمِ الَّذي شَأْنُهُ أن يَسأمَ مِنهُ عامِلُهُ، فنَفْيُ السَّآمَةِ عَنْهُ رَمزٌ للاستِعارَةِ"[1]، ما يعني أنَّه استعارَ عدم السَّآمة لعدم الاكتفاءِ وعدم الاقتناع، استعارةً تصريحيَّة تبعيَّة، تبيِّن، وتوضِّح تعَلُّقَ الإنسان بالخير، وحبَّه للاستزادة منه، بدون مَلَلٍ وانقطاعٍ.

نوع (أل) في ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ ودلالتها:

للجِبِلَّةِ الإنسانيَّةِ أثرٌ قويٌّ في اتِّصاف الإنسان بما ورد في الآية إلّا من عصمه الله

(أل) في ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يمكن أن تكونَ لتعريف العهد، ويكون المراد الإنسانَ المُخْبَرَ عَنهُ بِأنَّهُ لا يَسأمُ مِن دُعاءِ الخَيرِ وما عُطِفَ عَلَيهِ هو صِنْفُ النّاسِ الَّذينَ جَرَى ذِكْرُ قَصَصِهِم قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ، وهُمُ المُشْرِكونَ، ويجوز أن تكونَ لتعريف الجنس، ويَكونَ المُرادُ: جنسَ الإنسان بصفة عامَّة، ويدخل فيه المشركون دخولًا برهانيًّا، وأيًّا كان نوع اللام؛ "فمَحْمَلُ الكلام يُرْشِدُ إلى أنَّ إناطَةَ هَذِهِ الأخبارِ بِصِنْفٍ مِنَ المُشرِكينَ أو بِمُشرِكٍ مُعَيَّنٍ بعنوان ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يومِئُ بِأنَّ لِلْجِبِلَّةِ الإنسانيَّةِ أثَرًا قَويًّا في الخُلُقِ الَّذي مِنهُ هَذِهِ العَقيدَةُ إلّا مَن عَصَمَهُ اللّه بِوازِعِ الإيمانِ"[2].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 9.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 9.

معنى ﴿مِن﴾:

﴿مِن﴾ في قوله: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ هي البيانيَّةُ الموضِّحةُ ما لا يسأم الإنسانُ مِن فِعله، ولا يملُّ مِن تَكراره، وهو: الدُّعاء بزيادة الخير، والإكثار منه، ويمكن أن تكونَ السَّببيَّةَ الموضِّحةَ أنَّ الإنسانَ لا يصيبه أيُّ شيءٍ من الملل أو السَّآمة بسبب إكثاره من طلبِ الخيرِ، وأنَّه يتحمَّل في سبيل تحصيله كلَّ شيء.

نوعُ كلمة: ﴿دُعَآءِ﴾ ووجه إضافتها:

كلمةُ ﴿دُعَآءِ﴾ تعني: الطَّلب، وهي في قوله تعالى: ﴿دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مصدرٌ مضافٌ إلى مفعوله، عَبَّر به النَّظمُ؛ لأنَّه يدلُّ - بمعناه ومبناه المشتمل على ألف المدِّ في وسطه - على مبالغة الإنسان في طلب الخير، ويؤكِّد أنَّ طمعَهُ في حوزِهِ والإكثار منه لا حدود له، وجيء به مضافًا إلى مفعوله للإشعار بأنَّ ثمَّةَ ارتباطًا وثيقًا، وتلاصقًا شديدًا بين الطَّلب والخير، وأنَّ هذا الارتباطَ هو الَّذي يثير الناس إلى تحمُّل المصاعب والآلام البدنيَّة والنَّفسيَّة في سبيل تحصيل أكبر قدر منه، والمعنى: "لا يملُّ الإنسان من طلب الخير طلبًا عظيمًا، وذلك دالٌّ - مع شرهه - على جهله، فإنَّه لو كان عالمًا بأنَّ الخير يأتيه، أو لا يأتيه؛ لخفَّفَ عن نفسهِ مِن جهده في الدُّعاء"[1].

بين الإنسان والخير ارتباطٌ يدفع إلى تحمُّل الآلام البدنيَّة والنَّفسيَّة في سبيل تحصيله

كلمة: ﴿دُعَآءِ﴾ بين التصريحيَّة والمكنيَّة:

الدُّعاءُ: أصلُهُ الطَّلَبُ بِالقَولِ[2]، وهو هُنا مَجازٌ في الطَّلَبِ مُطلَقًا، حيث شُبِّه الحرصُ على تحصيل الخيرِ وجمعه بالطَّلب بالقول، بجامع سرعة التَّحصيل وكثرته، ثم استُعير الثاني للأوَّل على سبيل الاستعارة التصريحيَّة، ويَجوزُ أن يَكونَ التَّعبيرُ استِعارَةً مَكنيَّةً، شُبِّهَ

التَّعبيرُ المجازيُّ يُبرز شغف الإنسان بالخير وتطلُّعه إلى تحصيله

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 216.
(2) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 219.

فيها الخَيْرُ بِعاقِلٍ يَسأَلُهُ الإنسانُ أن يُقْبِلَ عَلَيهِ[1]، ثمَّ حُذِفَ المشبَّهُ به، ورُمِزَ إليه بشيءٍ مِن لوازمِه، وهو الدُّعاء على سبيل الاستعارة المكنيَّة، وأيًّا كان نوع الاستعارة؛ ففيها إبرازٌ لقيمة الخير، وبيانٌ لمدى شغف الإنسان به، وتطلُّعه إلى تحصيله، وعدم الاكتفاء منه بأيِّ مقدار.

نوع (أل) في ﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ ودلالته:

(أل) في ﴿ٱلۡخَيۡرِ﴾ لتعريف الجنس الدالَّة على أنَّ الإنسان يحرص على طلب الخير بجميع أنواعِه، فهو يحرص على كلِّ ما فيه نعمةٌ وسعةٌ، سواء أكان ذلك مالًا أم عقارًا أم أزواجًا وأولادًا، أم غير ذلك، وفي الحديث عن ابن عباس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَو كانَ لابنِ آدَمَ واديانِ مِن مالٍ؛ لابتَغَى ثالِثًا، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابنِ آدَمَ إلّا التُّرابُ، ويَتوبُ اللّه على مَنْ تابَ»[2].

الإنسانُ يحرصُ على الدُّعاء بكلِّ أنواع الخير

توجيهُ العطف بالواو:

الواو في قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ لعطفِ ما بعدها على جملة: ﴿لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾، أوثرَ عطفُهما بالواو الَّتي تفيد المصاحبة؛ للإشارة إلى سرعة تقلُّبِ الإنسانِ وعجيب تحوُّله مِنَ النَّقيض إلى النَّقيض، ومِنَ الحالة إلى ضدِّها؛ تأكيدًا لجهله، وبيانًا لقِلَّةِ صبرِه وعظيم ضَجَرِه.

مِنْ عجيبِ فعلِ الإنسان سرعةُ تَقَلُّبِه بين الحالة وضدِّها

دلالة (إنْ) الشَّرطيَّة:

عبَّر النَّظمُ في قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ بحرفِ الشَّكِّ (إنْ) أداةً للشَّرط؛ للدَّلالة على نُدرة الحالات الَّتي يمسُّ الشَّرُّ فيها الإنسانَ وقلَّتِها[3]، وأنَّه - مع كثرة أحوال المعافاةِ والإقبالِ، ونُدرة أحوال الإعراض والإدبار - يملأ اليأسُ قلبَهُ، ويسيطر القنوطُ على انفعالاتِه؛ إذا أصابه شيءٌ من الشَّرِّ أو الضُّرِّ.

الحالاتُ التي يمسُّ فيها الشَّرُّ الإنسانَ قليلةٌ ونادرةٌ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 10.
(2) البخاري، الجامع الصحيح: باب ما يتقى من فتنة المال، حديث رقم: 6072.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 25/ 11.

نكتةُ إيثارِ فعل المَسّ ماضيًا، ومرجع الضَّمير فيه:

ما ينزل مِن البؤسِ بالإنسان لا يدوم طويلًا، وسرعان ما يزول

قولُه: ﴿مَسَّهُ﴾ فعلٌ ماضٍ، وفاعلُهُ: ﴿ٱلشَّرُّ﴾، وضميرُهُ المنصوب يعود إلى: ﴿ٱلْإِنسَٰنُ﴾ عبَّر به النَّظمُ بدلًا مِنَ الفعل: أصاب؛ للدَّلالة على قِصَرِ مُدَّة ما يصيب الإنسانَ من الشَّرِّ، وأنَّ أيّامَ عافيته أكثرُ وأطولُ من أيّام بلائه وشدَّتِه، وفي التَّعبير به ماضيًا دلالةٌ على أنَّ ما ينزل به مِن بؤسٍ أو حزنٍ لا يدوم طويلًا، وينقضي على وجه السُّرعة، وفي إسنادِه إلى ﴿ٱلشَّرُّ﴾ دلالةٌ على أنَّ "هذا النَّوع قليلُهُ وكثيرُه يحدث بغتةً، ويأتي من جهة لا يتوقَّعُها الإنسانُ"[1]، وفيه ما لا يخفى من تعليم الناسِ التَّأدُّبَ مع الله تعالى، وعدم إسنادِ الشَّرِّ إليه.

نوع (أل) في ﴿ٱلشَّرُّ﴾ ودلالته:

الإنسانُ يضجر مِنَ الشَّرِّ بجميع أنواعه ومقاديره

(أل) في ﴿ٱلشَّرُّ﴾ لتعريف الجنس، عُرِّفَ بها للدَّلالة على ضيق الإنسان وتبرُّمه مِنَ الشَّرِّ بجميع أنواعه ومقاديره وأزمانه، فهو يضجرُ إذا أصابَهُ شرٌّ مطلقًا، سواء أكان قليلًا أم كثيرًا، قصيرًا أم طويلًا، وسواء أكان في المال أم في الولد أم في الصِّحَّة أم في أيِّ ناحية مِن نواحي الحياة.

بلاغةُ المجاز في ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾:

إبرازُ الشَّرِّ في صورة العاقل الذي يقصد إخراج الإنسان من الغفلة وإعادته إلى الجادة

في جملة: ﴿مَسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾ استعارةٌ، شُبِّه فيها الشَّرُّ بعاقل يقصد الإنسانَ ليصيبَهُ، ويُنْزِلَ به بعضَ الآلام التي تنبِّهه من الغفلة، وتعيدُه إلى جادَّة الطَّريق، أو ترفع من درجاتِه عند الله، ثم حذف المشبَّه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو فعل المسِّ على سبيل الاستعارة المكنيَّةِ التي تُخرج الشَّرَّ مِن دائرة الأمور المعنويَّة، وتبرزه في دائرة الأمور الحسّيَّة الَّتي تؤلم الإنسان، وتذيقُهُ بعض ما يدعوه إلى التَّفكُّر والتَّراجع، أو التَّفكُّر والرِّضا.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 216.

بلاغةُ المقابلة في الآية:

إبرازُ حرصِ الإنسان على الاستزادةِ من الخير وانصرافه عن الشَّرِّ

قابل النَّظمُ الكريم بين معنيَين في قولهِ تعالى: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ﴾ ومعنيين ضِدَّيهما في قوله: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ﴾، وهي مقابلةٌ تبرز لهفةَ الإنسان وحرصَهُ على الاستزادة من الخير بكلِّ أنواعه، وانصرافَه عن الشَّرِّ وعدم رغبته فيه بأيِّ شكلٍ من الأشكال، وتوضِّح أنَّ "هَذا الخُلُقَ أمْرٌ مُرْتَكِزٌ في نَفسِ الإنسانِ، وهو التَّوجُّهُ إلى طَلَبِ المُلائِمِ والنّافِعِ، ونِسيانُ ما عَسَى أن يَحِلَّ بِهِ مِنَ المُؤلِمِ والضّارِّ، وبِذَلِكَ يَأنَسُ بِالخَيرِ؛ إذا حَصَلَ لَهُ، فيَزْدادُ مِنَ السَّعْيِ لِتَحْصيلِهِ، ويَحْسَبُهُ كالمُلازِمِ الذّاتيِّ، فلا يَتَدَبَّرُ في مُعْطيهِ حَتَّى يَشكُرَهُ، ويَسألَهُ المَزيدَ تَخَضُّعًا، ويَنسَى ما عَسَى أن يَطرَأَ عَلَيهِ مِنَ الضُّرِّ، فلا يَستَعِدُّ لِدَفْعِهِ عَن نَفسِهِ بِسُؤالِ الفاعِلِ المُخْتارِ أن يَدفَعَهُ عَنهُ، ويُعيذَهُ مِنهُ"[1].

معنى الفاءِ:

سرعةُ ما يتحوَّل الإنسانُ إلى اليأس والقنوط عندما يصيبه مكروهٌ

الفاء في قوله: ﴿فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ﴾ هي الداخلةُ على جواب الشَّرط، والَّتي تربط بين جملتيه برباط السَّببية، وهي - مع ذلك - تفيد معنى التَّعقيب والإسراع، ما يعني: سرعةَ تحوُّل الإنسان إلى اليأس والقنوط عندما يصيبه أيُّ شيء من الشَّرِّ أو الضُّرِّ.

دلالةُ التَّعبير بـ ﴿فَيَـُٔوسٞ﴾ مادة وصيغة:

يصير الإنسانُ كأنَّه عريقٌ في اليأس بمجرَّد أن يصيبه شيءٌ مِنَ الإعراض أو الإدبار

اليأسُ معناه: انقطاعُ رجاءِ الإنسان، وذهاب طمعه في حصول الميؤوس منه، وهو فعلٌ قلبيٌّ يصيبُ الإنسانَ الَّذي قلَّ إيمانُه عندما ينزل به شيءٌ يكرهه، أوثرَ التَّعبيرُ عنه بصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿فَيَـُٔوسٞ﴾؛ للدَّلالة على أنَّه يصير عريقًا في اليأس[2]، بمجرَّد أن يصيبَهُ شيءٌ مِنَ الإعراض أو الإدبار، وكأنَّ حياتَه كلَّها كانت شرًّا وإدبارًا، ولم يرَ فيها خيرًا قطُّ، "وذَلِكَ من خلق قلَّة صبر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 9، 10.
(2) البقاعي، نظم الدرر: 17/ 216.

الإنسان على ما يتعبه، ويشقُّ عليه، فيضجر؛ إن لحقَهُ شرٌّ، ولا يوازي بين ما كان فيه من خيرٍ، فيقول: لئن مسَّني الشَّرُّ زمنًا؛ فلقد حلَّ بي الخيرُ أزمانًا، فمِن الحقِّ أن أتحمَّل ما أصابني، كما نعمتُ بما كان لي من خيرٍ، ثم لا ينتظر إلى حين انفراج الشَّرِّ عنه، وينسى الإقبال على سؤالِ اللّه أن يكشفَ عنه الضُّرَّ، بل ييأس ويقنط غضبًا وكبرًا، ولا ينتظر معاودةَ الخيرِ ظاهرًا عليه أثر اليأس بانكسار وحزن"[1].

وجهُ التَّعبير بـ ﴿قَنُوطٌ﴾ مادة وصيغة:

التَّعجيبُ مِن حال الإنسان إذا أصابه شيءٌ من الشَّرِّ أو الضُّرِّ

القُنوطُ هو: اليأسُ مِنَ الخَيرِ مع انكسارٍ وتضاؤلٍ، وهو انفعالٌ ناتجٌ عن اليأس ومُتَرَتِّب عليه[2]، أوثرَ التَّعبير عنه أيضًا بصيغة المبالغة؛ للدَّلالة على أنَّ الإنسان يصير عريقًا في الانكسار والتَّضاؤل بمجرَّد أن يصيبَهُ شيءٌ من الشَّرِّ، وكأنَّ حياته كلَّها كانت شرًّا، ولم يصبْهُ شيءٌ مِنَ الخيرِ مطلقًا، ما يثير العجب والاندهاش من ذلك التَّحوُّل الغريب الَّذي أصابه.

براعةُ إتباع اليأس بالقنوط:

يتأثَّر الإنسان بما يمسُّه من الشَّرِّ تأثُّرًا قلبيًّا، وتأثُّرًا انفعاليًّا

إتْباع ﴿فَيَـُٔوسٌ﴾ بـ ﴿قَنُوطٌ﴾ الَّذي هو: تَجاوُزُ إحْساسِ اليَأْسِ إلى ظاهِرِ البَدَنِ بالانكِسارِ، وهو مِن شِدَّةِ يَأْسِهِ، تحصل به مُبالَغَتانِ في التَّعْبيرِ عَن يَأسِهِ، بِأنَّهُ اعتِقادٌ في ضَميرِهِ وانفِعالٌ في سَجَناتِهِ، فالمُشرِكُ يَتَأصَّلُ فيهِ هَذا الخُلُقُ، ويَتَزايَدُ باستمرارِ الزَّمانِ، والمُؤْمِنُ لا تَزالُ تَربيَةُ الإيمانِ تَكُفُّهُ عَن هَذا الخُلُقِ حَتَّى يَزولَ مِنهُ، أو يَكادَ"[3]، بجانب أنَّ فيه مبالغةً من طريقين: من طريق بناء فعول، ومن طريق التَّكرير[4].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 10.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 315، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 10.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 5/ 11.
(4) الزمخشري، الكشاف: 4/ 205.

سرُّ البدء بصفة القلب:

القلبُ هو المؤثِّرُ فيما يظهرُ على صورة الإنسان من فرحٍ أو انكسارٍ

اليَأسُ مِن صِفَةِ القَلبِ، وهو أن يَقطَعَ رَجاءَهُ مِنَ الخَيرِ، والقُنوطُ: أن يَظهَرَ عَلَيهِ آثارُ اليَأسِ، فيتضاءلَ، وينكسرَ، وبَدَأ بِصيغَةِ القَلبِ؛ لأنَّها هيَ المُؤَثِّرَةُ فيما يَظهَرُ على الصّورَةِ مِنَ الانكِسارِ[1].

بلاغةُ التَّعبير بأسلوب الشَّرط:

جملةُ الجوابِ تشحذُ همَّةَ الإنسانِ إلى ألّا يكون قنوطًا

أوثرَ التَّعبيرُ في قوله تعالى: ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ بأسلوب الشَّرط؛ لِما يمتازُ به من بيانِ المعنى وإيضاحه، وتنبيه المتلقّي وإثارته إلى ترقُّب جملة الجواب، فإذا وردَت؛ ثبت معناها في النُّفوس، واستقرَّ في العقول، وشُحذت همَّة الإنسان إلى ألّا يكون مِنَ النَّوع الذي يظهر عليه اليأسُ والضَّجر؛ إذا أصابه شيء مِن الشَّرِّ، بل يتحلّى بالصَّبر والرِّضا، ويحرص على الدُّعاء والابتهال إلى الله تعالى، حتى يرفعَ ما نزل به من الضُّرِّ، أو يخفِّفَ عنه ما أصابه من الشَّرِّ.

❁ الفُروقُ المُعجَميَّةُ:

السَّأم واليأس والقنوط والملل والضَّجر:

نفيُ السَّأمِ يناسب حرصَ الإنسان على تحصيل الخيرِ بدون ضجر في الأقوال والأفعال

السَّأمُ: المللُ ممّا يكثر لبثُهُ، فعلًا كان أو انفعالًا، و"القنوط أشدُّ مُبالغَةً من اليَأس، أمّا اليَأس؛ فقد يكون قبل الأمل، وقد يكون بعده"[2]، والمَلَل: أن تملَّ شيئًا، وتُعرِضَ عنه[3]، والضَّجر: القلق والتَّبرُّم من الغَمِّ[4]، ولمّا كان الحديثُ عن حرص الإنسانِ على ما فيه مصلحتُهُ؛ ناسب التَّعبير بـ ﴿يَسْـَٔمُ﴾ المنفي؛ لإفادته نفي إصابة الإنسان بأيِّ قدر من الملل، أو الضَّجر، أو القنوط في الأقوال والأفعال عندما يدعو بالخيرِ، وهو أكثرُ هذه المفردات مطابقةً للواقع والحقيقة.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 9/ 315.
(2) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 245.
(3) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (ملل).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (ضجر).

المسّ واللَّمس والإصابة:

المَسُّ أقصرُ مدَّةً و أكـثرُ تـنـوُّعًـا مـن الـلَّـمـس والإصابة

أصلُ المسِّ: جسُّ الشَّيء باليد أوالحَجَر أوغيرهما، ومن معانيه: الإصابةُ، وهو يدلُّ على قِصَر مدَّة الشِّدَّةِ أو الضُّرِّ، واللَّمس يكون باليد لتعرُّف الخشونة أو اللّين أو غير ذلك[1]، والإصابة: النُّزول بالشَّيء واللَّحاق به، خيرًا كان النّازل أو شرًّا، ويكثر استعمالُهُ في الشَّرِّ[2]الَّذي تطولُ مدَّته، ولمّا كان الحديثُ عن عدم تحمُّل الإنسان ما يصيبه من الشَّرِّ أو الضُّرِّ؛ ناسب التَّعبير بفعل (المَسِّ)؛ لأنَّه أكثرُ دلالةً على ذلك لقصر مدَّته، ولتنوُّع آليّاته وأشكاله، بخلاف اللَّمس الذي لا يكون إلّا باليد، والإصابةُ التي يمكن أن يطولَ أمدُها، ويكون في التَّعبير بها نوعٌ من التماس العذر للضاجرين المُتَبرِّمين.

(1) العسكري، الوجوه والنظائر، ص: 435.
(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (وصب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني والخمسون،
سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 52 ، 818 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-48-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 52 : المجلد الثاني والخمسون، سورة غَافِر من الآية 77 إلى سورة الشُّورى الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-48-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0346315 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"